التّوجيه النّحوي لآية الوضوء عند المفسّرين.

Grammar guidance for any ablution when interpreters

أ. بلخير مصطفى♥

إشراف: د. بن عزّوز حليمة

تاريخ الاستلام: 20 – 12–2019 تاريخ القبـول: 28 –02–2021

ملخّص: يهدف هذا البحث إلى الوقوف على الظّواهر النّحويّة في القراءات القرآنيّة، وذلك من خلال التّوجيهات النّحويّة للمفسّرين بوجه خاص.

وسأحاول إبراز ظاهرتين نحويتين: واحدة في حرف المعنى (الباء) والأخرى في الخفض بالجوار، مبيّنا مذاهب المفسّرين واختياراتهم النّحويّة، وجعل الآية الكريمة هي محور البحث.

الكلمات المفتاحيّة: التّوجيه، النّحو، آية، الوضوء، المفسّرين.

Abstract: This research aims to identify the grammatical phenomena in the Qur'anic readings, and this way through the grammatical guidance of the commentators in particular.

And I will try to highlight two grammatical phenomena: one in the meaning of the letter (B) and the other in the reduction nearby, indicating the doctrines of the interpreters and their grammatical choices, and make the verse Is the axis of the research.

Key words: guidance, grammar, verse, ablution, interpreters.

مقدّمة: يُعدّ التّوجيه النّحوي للقراءات القرآنيّة من الموضوعات المهمّة ومجالا خصبا للبحوث اللّغويّة وبخاصّة النّحويّة منها لذلك أحببت الخوض فيه ولما للنّحو

♥جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، البريد الإلكتروني:

Email:mustapha.belkhir@univ–tlemcen.dz (المؤلّف المرسل).

من علاقة وطيدة بالقراءات من حيث الشّواهدُ التي تعتبر المرجع الأساسي مع الشّعر القديم، وفيه خدمة للّغة خاصّة وللدّين عامّة. وسأدرس في هذا البحث اية الوضوء كما سمّاها الإمام القرطبي، وذلك من خلال ذِكر أقوال المفسرين فيها وتوجيهم للقراءة من جانها النّحوي فقط دون التّعرّض للأحكام لأنّها دراسة نحويّة لا فقهيّة. أمّا إشكاليّة البحث الأولى: فهي هل الاختلاف في التّوجيه النّحوي للقراءة القرآنيّة يغيّر من معنى الاية؟ أمّا إشكاليّة البحث الفرعيّة: هل الاختلاف في حروف المعاني يُؤثّر في معاني الآيات؟ وهل الخفض على الجوار يكون في القرآن وهو من الأساليب الفصيحة؟ الفرضيات: الاختلاف في التّوجيه النّحوي يُوسّع معنى الاية، وكذا الاختلاف في معاني حروف المعاني يُؤثّر في الأحكام، والخفض على الجوار يكون في القرآن في النّعت وأمّا في العطف فهو من المشكل. وهدف البحث: هو محاولة الإجابة عن أسئلة المشكلة وذلك من خلال دراسة توجيهات المفسّرين النّحويّة للاية الكريمة. والمنهج المعتمد في البحث هو المنهج الوصفي الذي يعتمد على التّحليل والاستقراء وهو في عمومه وصف ثمّ بيان ثمّ استنتاج. وتناولت في هذا البحث تعريف التّوجيه لغة واصطلاحا باختصار، وتناولت حرف المعنى (الباء)في شبه الجملة: ﴿**بِرُءُوسِكُمْ**﴾. وهو من حروف الجرّ واختلاف المفسرّين فيه على خمسة أقوال وكلّها محتملة. وتناولت موضوع الخفض على الجوار في كلمة:﴿**وَأَرْجُلَكُمْ**﴾ وذكرت اختلاف أقوال المفسّرين فيها وهي مرتّبة من الأشدّ إلى الأقلّ شدّة ، فذكرت ثلاثة أقوال تمنع الخفض على الجوار ثمّ عقّبت عليها معتمدا على أقوال الصّحابة ، وبعدها ذكرت أربعة أقوال للمجوّزين ثمّ عقّبت عليها بأقوال أهل اللّغة ثمّ جعلت خاتمة عامّة.

1. التّوجيه لغة:‹‹وجه: الواو والجيم والهاء أصل واحد يدلّ على مقابلة الشّيء...ووجّهت الشيء جعلت على جهة››.[1]

1. 2. التّوجيه اصطلاحا: ‹‹ هو إيراد الكلام محتملا بوجهين مختلفين... والتّوجيه إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم، وقيل عبارة على وجه ينافي كلام الخصم››.[2]

1. 3. توجيه القراءات: ‹‹ علم يُعنى ببيان وجوه القراءات في اللّغة والتّفسير وبيان المختار منها ويُسمّى ب(علل القرآن)،(حجج القرآن)،(الاحتجاج للقراءات) ، لكن الأولى التّعبير بالتّوجيه بحيث يُقال: وجّه كذا لئلّا يُوهم أنّ ثُبوتَ القراءة متوقّفٌ على

صحّة تعليلها››.[3] قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ... ﴾ سورة المائدة.[4]

2 ـ التّوجيه النّحوي لحرف الجرّ (الباء) في شبه الجملة ﴿ بِرُؤُوسِكُمْ ﴾.

2. 1ـ القول الأوّل **الباء في﴿ بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ هي للتبعيض،** وهو قول (الشّافعي) استنادا منه على ما جاء في السّنة. قال(الإمام الشّافعي)(ت203هـ)، في أحكام القرآن:‹‹ وفي قوله تعالى : ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾، قال‹‹ وكان معقولا في الآية من مسح من رأسه شيئا فقد مسح برأسه ولم تحتمل الآية إلّا هذا وهذا أظهر معانيها قال: فدلّت السّنّة على أنّ ليس على المرء مسح رأسه كلّه، وإذا دلّت السّنّة على ذلك فمعنى الآية أنّ من مسح شيئا من رأسه أجزأه››.[5] ووافقه على ذلك (محمّد علي الصّابوني) صاحب روائع البيان فقال: ‹‹ أقول: الباء في اللّغة العربيّة موضوعة للتّبعيض، وكونها زائدة خلاف الأصل، ومتى أمكن استعمالها على الحقيقة ما وُضعت له وجب استعمالها على ذلك النّحو، فالفرض يُجزئ بمسح البعض، والسّنة مسح الكلّ، فما ذهب إليه الشّافعيّة والحنفيّة أظهر، وما ذهب إليه المالكيّة والحنابلة أحوط والله أعلم››.[6]

2. 2. القول الثّاني الباء للإلصاق وهو قول (الزّمخشري) (ت538هـ)،و(ابن عربي)(ت543هـ)، و(ابن كثير)(ت774هـ)، ووافقهم الشّيخ (رشيد رضا) وهو من المتأخّرين: قال (الزّمخشري)(ت538هـ) صاحب الكشّاف:﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ المراد إلصاق المسح بالرّأس وماسحُ بعضه ومُستوعبه بالمسح كلاهما مُلصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره، على اختلاف الرّواية وأخذ الشّافعي باليقين فأوجب أقلّ ما يقع عليه اسم المسح، وأخذ أبو حنيفة بيان رسول الله وهو ما رُوِي: أنّه مسح على ناصيته، وقدر النّاصيّة بربع الرّأس.››[7]وقال (ابن عربي)(ت543هـ) صاحب أحكام القرآن :‹‹ظنّ بعضُ الشّافعيّة وحشويّة النّحويّة أنّ الباء للتّبعيض، ولم يبق ذو لسان رطب إلّا وقد أفاض في ذلك حتّى صار الكلام فيها إجلالا بالمُتكلّم، ولا لمن شدا طرفا من العربيّة أن يعتقد بالباء ذلك، وإن كانت ترد في موضع لا يحتاج إليها فيه لربط الفعل بالاسم، فليس ذلك إلّا لمعنى، تقول

مررت بزيدٍ فهذا لإلصاق الفعل بالاسم، ثمّ تقول: مررت زيدًا فيبقى المعنى، وفي ذلك خلاف بيانه في ‹‹ملجئة المتفقّهين إلى معرفة غوامض النّحويّين››....[8]وهذا أحدُ قوليه وله قول آخر سنذكره في كون (الباء) للاستعانة. ونجد أيضا ابن كثير(ت774هـ) صاحب تفسير القرآن العظيم يُرجّح القول أنّ الباء في الآية للإلصاق فيقول: وقوله تعالى:﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾اختلفوا في هذه الباء هل هي للإلصاق؟ وهو الأظهر، أو للتّبعيض وفيه نظر على قولين ومنَ الأصوليين منْ قال هذا مجمل. فليرجع في بيانه إلى السّنة.››[9] وقال الشّيخ (رشيد رضا) صاحب تفسير المنار:« ونازع بعضهم في كون الباء تفيد التّبعيض ، قيل: مطلقا، وقيل: استقلالا وإنّما تقييدها مع معنى الإلصاق، ولا يظهر معنى كونها زائدة، والتّحقيق أنّ معنى الباء الإلصاق لا التّبعيض، أو الآلة وإنّما العبرة بما يفهمه العربي من مسح بكذا ومسح بكذا، فهو يفهم من كلمة مسح العرق عن وجهه أنّه أزاله بإمرار يده أو أصبعه عليه، ومن مسح رأسه بالطّيب أو الدّهن أنّه أمرّه عليه، ومن مسح الشّيء بالماء أنّه أمرّ عليه ماء قليلا...فهذا يفهمه كلُّ من له حظّ من هذه اللّغة...››[10]والشّيخ رشيد رضا أراد أن يُعطى الفعل (مسح) دلالته الحقيقيّة في لغة العرب.

2. 3. القول الثّالث: الباء للاستعانة وهو مفهوم القول الثّاني لـ(ابن عربي) فكأنّه قال: فامسحوا برؤوسكم الماء. قال (ابن عربي)(ت543هـ) صاحب أحكام القرآن: ‹‹وقد طال القول في هذا الباب وترامت فيه الخواطر في المختصر حتّى أفادني فيه بعض أشياخي في المذاكرة والمطالعة فائدة بديعة : وذلك أنّ قوله:﴿ فَامْسَحُوا﴾ يقتضي ممسوحا، وممسوحا به والممسوح الأوّل هو ما كان، والممسوح الثّاني هو الآلة التي بين الماسح والممسوح كاليد والمحصّل للمقصود من المسح، وهو المنديل، وهذا ظاهر لا خفاء فيه، فإذا ثبُت هذا فلو قال: امسحوا رؤوسكم لأجزى المسح باليد إمرارا من غير شيء على الرّأس لا ماء ولا سواه، فجاء بالباء لتفيد ممسوحا به، وهو الماء، فكأنّه قال: فامسحوا برؤوسكم الماء، من باب المقلوب، والعرب تستعمله... .››[11]وابن عربي هو كذلك مال إلى كلام العرب.

2 . 4. القول الرّابع الباء زائدة في قراءة ﴿ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلكَعْبَيْنِ﴾ بالنّصب إذا عُطِفت على محلّ الاية:﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ :فيكون محلّ ﴿ بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ مفعولا به وهو مجرور بحرف جرّ زائد وهو الباء. قال (الرّازي) (ت606هـ) صاحب مفاتح

الغيث:‹‹ وأمّا قراءة النّصب قالوا أيضا توجب المسح وذلك لأنّ قوله: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ فرؤوسكم في محلّ نصب ولكنّها مجرورة بالباء، فإذا عطفت الأرجل على الرّؤوس جاز في الأرجل النّصب على محلّ الرّؤوس، والجرّ عطفا على الظّاهر وهذا مذهب مشهور للنّحاة››.[12] وقال (ابن السّمين الحلبي)(ت856هـ) صاحب الدّرّ المَصون: ‹‹فأمّا قراءة النّصب ففيها تخريجان: أحدهما أنّها معطوفة على ﴿ أَيْدِيَكُمْ﴾ فإنّها حكمها الغسل كالأوجه والأيدي... والثّاني: أنّه منصوب عطفا على محلّ المجرور قبله››.[13]

2. 5. القول الخامس: **ـ الباء في﴿ بِرُؤُوسِكُمْ ﴾. هي للإلصاق أو التبعيض**

وجاء في تفسير الجلالين، (جلال الدّين المحلّي)(ت864هـ)، وجلال (الدّين السّيوطي)(ت911هـ)‹‹ ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقلّ ما يصدق عليه وهو مسح بعضٍ وعليه الشّافعي››[14]. فتفسير الجلالين تفسير مختصر جدّا فجاء بالإلصاق والتّبعيض معا أي: أنّ الإلصاق هو المعنى الأوّل والأساسي لهذه الباء، والتّبعيض هو المعنى الثّاني وهو أقلّ منه. وقد يُفيد الإلصاق والتّبعيض في آن واحد وهو ممكن من جهة العمل لأنّه لم يذكر (أو) التي تفيد التّخيير. وقد ظهر هذا المعنى في قول (الثعالبي) (ت875هـ) صاحب الجواهر الحسان: ‹‹ والباء في قوله تعالى﴿ بِرُؤُوسِكُمْ﴾ مُؤكِدة زائدة عند من يرى عموم الرّأس ، والمعنى عنده: وامسحوا رؤوسكم، وهي للإلصاق المحض عند من يرى إجزاء بعض الرّأس كأنّ المعنى: أوجدُوا مسحا برؤوسكم، فمن مسح ولو شعرة فقد فعل ذلك.››[15]

2. 6. **الخلاصة:** وعند (الشّوكاني) (ت1250هـ) صاحب فتح القدير خلاصةٌ قال فيها: ‹‹قوله:﴿ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ قيل :الباء زائدة، والمعنى: امسحوا رؤوسكم وذلك يقتضي تعميم المسح لجميع الرّأس. وقيل هي للتّبعيض، وذلك يقتضي أنّه يُجزئ مسح بعضه، واستدلّ القائلون بالتّعميم﴿ فامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ ﴾[16]ولا يُجزئ مسح بعض الوجه اتّفاقا، وقيل: إنّها للإلصاق ، أي: ألصقوا أيديَكم برؤوسكم، وعلى كلّ حال فقد ورد في السّنّة المطهّرة ما يُفيد أنّه يكفي مسح بعض الرّأس كما أوضحناه في

مؤلّفاتنا››.[17] والإمام الشّوكاني لم يذكر هنا الباء التي للاستعانة. والباء في الآية الكريمة تكون للتّبعيض أو الإلصاق أو الاستعانة أو زائدة وقد تجمع بين معنين معاً.

3 . الخفض بالجوار في كلمة ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ .

3 . 1. القائلين بأنّ الخفض بالجوار لا يكون في القرآن الكريم.

3. 1. 1. القول الأوّل: الخفض على الجوار هو لحن في كلام العرب ولا يقع في القرآن مطلقا، وهذا قول (الزّجّاج) و(الآلوسي). قال (الزّجّاج)(ت311هـ) صاحب معاني القرآن وإعرابه: ‹‹ وقال بعض أهل اللّغة هو جرّ على الجوار، فأمّا الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله.››[18]وقال (الآلوسي) (ت1270هـ) صاحب روح المعاني:‹‹ وحجّة القائلين بالمسح قراءة الجرّ فإنّها تقتضي كون الأرجل معطوفة على الرّؤوس فكما وجب المسح فيها وجب فيها القول بالجوار كما في قولهم: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، وقوله: [19]

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمِّلِ

باطل من ووجوه: أوّلها أنّ الكسر على الجوار معدود من اللّحن الذي قد يتحمّل لأجل الضّرورة في الشّعر وكلام الله يجب تنزيهه عنه، وثانيهما أنّ الكسر إنّما يُصار إليه حيث حصل الأمن من الالتباس كما فيما استشهدوا به، وفي الاية الأمن من الالتباس غير حاصل، وثالثها: أنّ الجرّ بالجوار إنّما يكون من دون حرف عطف وأمّا مع حرف العطف فلم تتكلّم به العرب››.[20]

3. 1. 2. القول الثّاني: الخفض على الجوار هو لحن في كلام العرب ولا يقع في القرآن مطلقا، وهو موجود في كلام العرب مع النّعت، بشرط الأمن من الالتباس وأمّا مع العطف فلم تتكلّم به العرب، وهذا قول (الرّازي). قال (الرّازي) (ت606هـ) صاحب مفاتح الغيث: ‹‹ فإن قيل: لم لا يجوز أن يُقال: هذا كسر على الجوار كما في قوله: جحرُ ضبٍّ خربٍ، وقوله[21]: كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمِّلِ.

قلنا: هذا باطل من وجوه: الأوّل: أنّ الكسر على الجوار معدود من اللّحن الذي قد يتحمّل لأجل الضّرورة في الشّعر، وكلام الله يجب تنزيهه عنه. وثانيهما: أنّ الكسر إنّما يُصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما في قوله: جحرُ ضبٍّ خربٍ فإنّ من المعلوم بالضّرورة أنّ الخرب لا يكون نعتا للضّبّ بل للجحر، وفي هذه الآية

الأمن من الالتباس غير حاصل. وثالثهما: أنّ الكسر بالجوار إنّما يكون بدون حرف العطف، وأمّا مع حرف العطف لم تتكلّم به العرب.››[22]

3. 1. 3. القول الثّالث: الخفض على الجوار يكون في القرآن الكريم مع النّعت فقط على خلاف فيه. وهذا قول (أبي حيّان). قال (أبو حيّان)(ت745هـ) صاحب البحر المحيط:‹‹ ومن أوجب الغسل تأوّل أنّ الجرّ هو خفض على الجوار وهو تأوّل ضعيف، ولم يرد إلّا في النّعت حيث لا يلبس على خلاف فيه، وقد قُرّر في علم العربيّة .››[23]

3. 2. تعقيب على القائلين بأنّ الخفض بالجوار لا يكون في القرآن.

الخفض على الجوار موجود في كلام العرب في النّعت وفي العطف وفي غيره ولا أدري كيف عُدّ لحنا في كلام العرب وهو في كلام (امرئ القيس) و(ذي الرّمة) و(النّابغة) و(الحطيئة) وقد قال (عمر بن الخطّاب) رضي الله عنه (ت 23هـ):‹‹ يا أيّها النّاس عليكم بديوانكم، شعرِ الجاهليّة، فإنّ فيه تفسيرَ كتابكم ومعاني كلامكم.››[24] وقال (عبد الله بن عبّاس) رضي الله عنه (ت68هـ) :‹‹وإذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشّعر فإنّ الشّعر ديوان العرب.››[25]

3. 3. القائلين بأنّ الخفض بالجوار يكون في القرآن كما هو لغة العرب.

1.3.3القول الأوّل: الخفض على الجوار يكون في القرآن الكريم مع النّعت ومع العطف كذلك، وهو المفهوم من كلام (البغوي). قال (البغوي) (ت 516هـ) صاحب معالم التّنزيل: ‹‹ وذهب عامّة أهل العلم من الصّحابة والتّابعين وغيرهم إلى وجوب الغسل، وقالوا: خفض اللّام في الأرجل على مجاورة اللّفظ لا على موافقة الحكم كما قال تبارك وتعالى: ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[26] فالأليم صفة العذاب ولكنّه أخذ إعراب اليوم للمجاورة ، وكقولهم: جحرُ ضبٍّ خربٍ فالخرب نعت للجحر، وأخذ إعراب الضّبِّ للمجاورة››.[27]

3. 3. 2. القول الثّاني الخفض على الجوار يكون في القرآن الكريم بشرط الأمن من الالتباس. قال (ابن السّمين الحلبي)(ت865هـ) صاحب الدّرّ المَصون:‹‹ وأمّا قراءة الجرّ ففيها أربعة تخاريج، أحدهما: أنّه منصوب في المعنى عطفا على الأيدي المغسولة وإنّما خُفض على الجوار، كقولهم: ‹‹هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ››، بجرّ ‹‹

خربٍ›› وكان من حقّه الرّفع لأنّه صفة في المعنى للجحر لصحّة اتّصافه به، والضبُّ لا يُوصف به، وإنّما جرُّه على الجوار، وهذه المسألة عند النّحويّين لها شرط وهو أن يُؤمن اللّبس كما تقدّم تمثيله، بخلاف ‹‹ قَامَ غُلَامُ زَيْدٍ العَاقِلُ›› إذا جعلت ‹‹العَاقِلُ››[28] نعتا للغلام امتنع جرّه على الجوار لأجل اللّبس، وأنشدوا أيضا قول الشّاعر:[29] كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ قُدَّامَ أَعيُنِهَا قُطْنًا بِمُسْتَحْصِدِ الأَوْتَارِ مَحْلُوجِ.

وقول الآخر: [30] فَإِيَّاكُمْ وَحَيّة بَطْنِ وَادٍ هَمُوزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيٍّ.

وقول الآخر: [31] كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ.››[32]

3. 3. 3. القول الثّالث: الخفض على الجوار يكون في القرآن الكريم مطلقا وهذا هو المفهوم من كلام (أحدِ الجلالين) و(الصّابوني) وذلك لعدم ذكر الخلاف ولو إشارة كما ذكر أبو حيّان الخلاف في الخفض على الجوار في النّعت.

جاء في تفسير الجلالين: ‹‹﴿**وأَرْجُلَكُمْ**﴾ بالنّصب عطفا على أيديكم، وبالجرّ على الجوار›› [33]. وقال (محمد علي الصّابوني) صاحب روائع البيان: ‹‹فقراءة النّصب بالعطف على الوجوه والأيدي أي: اغسلوا وجوهكم وأيديَكم وأرجلَكم، وقراءة الجرّ للمجاورة››.[34]

3. 3. 4. القول الرّابع: الخفض على الجوار يكون في القرآن الكريم مطلقا، وهو أسلوب فصيح في كلام العرب. وشرط الأمن الالتباس مردود بكلام أهل اللّغة والعرب تكلّمت به في النّعت وفي العطف وفي غيره، وهذا قول (الشّنقيطي).

قال (محمّد الأمين الشّنقيطي) (ت1393هـ) صاحب أضواء البيان:‹‹واعلم أوّلا أنّ القراءتين إذا ظهر تعارضهما في اية واحدة لهما حكم الآيتين كما هو معروف عند العلماء، وإذا علمت ذلك فاعلم أنّ قراءة: ﴿**وأَرْجُلَكُمْ**﴾ بالنّصب صريح في وجوب غسل الرّجلين في الوضوء، فهي تُفهم أنّ قراءة الخفض لمجاورة المخفوض مع أنّ إعرابها النّصب أو الرّفع››. [35] وقال أيضا: ‹‹ وما ذكره بعضهم من أنّ الخفض معدود من اللّحن الذي يتحمّل لضرورة الشّعر خاصّة، وأنّه لم يجز إلاّ عند اللّبس، وأنّه غير مسموع في العطف وأنّه لم يجز إلاّ عند أمن اللّبس، فهو مردود بأنّ أئمّة اللّغة العربيّة صرّحوا بذلك.››[36] وقال أيضا: ‹‹والتّحقيق أنّ الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللّغة العربيّة وأنّه جاء في القرآن بلسان عربيٍّ مبين... وقول امرئ القيس:[37] وَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ.

بجرّ ‹‹قديرٍ›› لمجاورته للمخفوض، مع أنّه عطف على صفيف المنصوب بأنّه مفعول اسم الفاعل الذي هو ‹‹منضج ››...››[38] وقال (الشّنقيطي) أيضا: ‹‹ومن أمثلة الخفض بالمجاورة في القرآن في النّعث قوله تعالى:﴿ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[39] بخفض محيطٍ مع أنّه نعت للعذاب، وقوله تعالى: ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[40] وممّا يدلّ أنّ النعت للعذاب، وخفض للمجاورة، كثرة ورود الألم في القرآن نعتا للعذاب.››.[41]

وقال أيضا:‹‹ ومن أمثلة القرآن العظيم في العطف ... قوله تعالى: ﴿وَحُور عِينٌ (22) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلمَكْنُونِ﴾[42] على قراءة حمزة والكسائي ورواية المفضّل عن عاصم بالجرّ لمجاورته لأكوابٍ وأباريقَ إلى قوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [43] مع أنّ قوله: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ﴾ حكمه الرّفع ، فقيل إنّه معطوف على فاعل ‹‹يطوف›› الذي هو﴿ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [44]، وقيل هو مرفوع على أنّه مبتدأ خبره محذوف، دلّ المقام عليه.››[45]

3. 4. تعقيب على القائلين بأنّ الخفض بالجوار يكون في القرآن كما هو لغة العرب: والردّ على هذا نجده عند من يقول ليس كلُّ ما تكلّمت به العرب يكون في القرآن وذلك في بعض الكلمات الموجودة في الشّعر العربي القديم ولم ينزل بها القرآن الكريم مثل كلمة :‹‹ هلُمَّ›› اسم فعل أمر، هذه لغة الحجاز مع جميع الضّمائر، وعند تميم تتغيّر حسب الضّمير، كقولنا: (أنتم هلمُّوا). قال (ابن جنّي) (ت392هـ) ‹‹ وأعلى اللّغتين الحجازيّة وبها نزل القرآن ألا ترى إلى قوله عزّ اسمه: ﴿ وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ [46]››[47]وكذلك ما التّميميّة ، وما الحجازيّة، فالتّميميّة في الشّعر والحجازيّة في القرآن، قال (ابن يعيش)(ت643هـ) في شرحه للمفصّل‹‹ فاللّغة الأولى أقيس والثّانيّة أفصح وبها ورد الكتاب العزيز، قال الله تعالى:﴿..مَا هذَا بَشَرًا..﴾[48]وقال:﴿...مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ...﴾ [49]...››[50]والخفض على الجوار مع العطف وإن وُجد في الشّعر فهو قليل ويُمكن عَدُّه وتحديد شواهده، وكذلك الآيات التي قيل فيها الخفض بالجوار قليلة، فكان هناك توافق في القلّة والكثرة ما بين الشّعر القديم والقراءات القرآنيّة. والخفض على الجوار مسألة تحتاج إلى بحث خاصٍّ وعميق

وبحثنا هذا مربوط بكلام المفسّرين حول الآية، وهو يدور حول التّوجيه النّحوي لكلمتين فقط. والله أعلم بالصّواب.

4. خاتمة: نستنتج من خلال هذا البحث المتواضع ما يلي:

1 . اختلاف المفسّرين في معاني حرف الباء في كلمة: «بِرُؤُوسِكُمْ» إلى خمسة معانٍ: الباء زائدة، الباء للإلصاق، الباء للتّبعيض، الباء للتّبعيض أو الإلصاق، الباء للاستعانة، وهي كلّها مقبولة مع تأثيرها في الأحكام.

2 . واختلف المفسّرون في الخفض على الجوار فمنهم من رأى عدم وروده في القرآن وهو من اللّحن ومنهم من جوّزه ورآه من فصيح الكلام ومنهم قبله بشروط. ولا يُمكن الجزم بواحد من هذه الأقوال إلّا أنّ القول الأخير هو الأقرب إلى الصّواب لأنّه يوافق أصل العربيّة في شرط عدم اللّبس في المعنى.

3 . المفسّرون كانوا علماء موسوعيّين جمعوا في تفاسيرهم بين الأثر واللّغة وناقشوا القراءات ووجّهوها نحويّا مستعينين بالأثر.

4 . يتبيّن لنا أنّ القراءات القرآنيّة من الموضوعات المهمّة جدّا في الدّرس اللّغوي العربي.

5 ـ ويتبيّن لنا أنّ كلّ قراءة قرآنيّة زادت معنًى جديدا لم تنبّه إليه القراءة الأخرى مع عدم التّناقض والتّضادّ بينهما، مع غرض التّيسير والتّسهيل في الأحكام.

6 . ويظهر لنا أنّ مقاصد هذه الاختلافات هو التّكثير من المعاني في الآية الواحدة.

7 ـ وفيه إجماعُ العلماء على أنّ الاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوّع لا اختلاف تضادّ وإذا ظهر التّعارض في قراءتين فلهما حكم الآيتين.

8 . وفيه الرّدّ على المستشرقين الذين يرون أنّ الاختلاف في أوجه القراءات هو اضطراب في القرآن.

9 . ومنه نعلم أيضا أنّ الاختلاف في القراءات فيه جانب من الإعجاز.

10 . ويتبيّن لنا فضل القرآن على اللّغة العربيّة كيف رفع من شأنها وجعلها محلّ بحثٍ ودراسة.

11 . ويتبيّن لنا فضل القرآن على اللّغة العربيّة كيف هذّبها من الثّقيل الصّعب ووحّدها بعد شتات وجمعها بعد تفرّق وجعلها لغة حضارة ورسالة.

12. ويتبيّن لنا أنّ اختلاف المفسّرين في توجيه القراءات القرآنيّة نحويّا مبنيٌّ على ما وصلهم من علم وعلى ما سمعوه من شيوخهم وعلى ما ترجّح لهم في المسالة لا على أهوائهم الشّخصيّة ولا على النّزعات المذهبيّة.

5. التّوصيات: لقد قادنا هذ البحث إلى بعض التّوصيات التي ربّما تُسهم في رفع مستوى البحث العلمي في مجالات اللّغة العربيّة:

ضرورة إعطاء أهميّة قصوى للدّراسات اللّغويّة في مجال القراءات القرآنيّة لربط اللّغة بالقراءات. يجب إدراج النّحو العربي كتخصّص في الماستر وجَعل التّوجيه النّحوي للقراءات القرآنيّة من المقاييس الأساسيّة فيه.

يُستحسنُ بمن له خبرة ودراية أن يجمع لنا كتابا كاملا خاصّاً بالتّوجيه النّحوي للقراءات القرآنيّة من سورة الفاتحة إلى سورة النّاس فيُعطينا تفسيرا نحويّاً خالصاً يخدم به القرآن والعربيّة. ضرورة الاستزادة والتّعمّق في المسائل الخلافيّة التي طال الكلام فيها فربما يكون الخطأ من عالم موثوق زلّت قدمه فاغترّ به غيره وهذا حاصل.

ضرورة إعادة تخصّص العلوم الإسلاميّة إلى الطور الثّانوي كما كان قبل عشرين سنة، وإدخال مادّة القرآن الكريم كمادّة أساسيّة في التّعليم الابتدائي والمتوسّط ثمّ حصرها في تخصّص العلوم الإسلاميّة في الطور الثّانوي بإشراف متخصّصين للوصول إلى طالب جامعي متكامل.

6. فهرس المراجع:

ـ القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).

1. (إبراهيم بن سعيد الدّوسري)، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات دار الحضارة، ط:1، 1429هـ، 2008م.

2 ـ (أبو بكر بن العربي) (468 ،543هـ)، أحكام القرآن، علّق عليه وخرّج أحاديثه: (محمّد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط:3 1424هـ 2003م، قسم:2.

3 ـ (أبو حيّان الأندلسي) (ت 745هـ)، البحر المحيط، تحقيق: الشّيخ (عادل أحمد عبد الموجود) وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط:1، 1413هـ 1993م، ج:3.

4 ـ (أبو القاسم الزّمخشري الخوارزمي) (467، 538هـ)، تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه (خليل مأمون شيخا)، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط:3، 1430هـ ،2009م.

5 ـ (أحمد بن فارس) (ت 295هـ)، مقاييس اللّغة، تحقيق: (عبد السّلام هارون) دار الفكر، (دط)، (دت).

6 ـ (ابن جنّي)، الخصائص، تحقيق: (محمّد علي النّجّار)، دار الكتب المصريّة، المكتبة العلميّة، (دط)، (دت).

7.(ابن يعيش)(ت643هـ) . شرح المفصّل، إدارة الطباعة المنيرة، (دط)، (دت).

8 ـ (جلال الدّين محمّد بن أحمد بن محمّد المحلّي) (864،791هـ)، و(جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي) (849، 911هـ)، تفسير الإمامين الجليلين، دار ابن كثير، (دط)، (دت).

9 ـ (الحسين أبو محمّد بن مسعود البغوي)، (ت516هـ) تفسير البغوي معالم التّنزيل، حقّقه خرّج أحاديثه (محمّد عبد الله النّمر) وآخرون، دار طيبة، ط:1، 1409 هـ، 1989م، مج:3.

10 ـ (الحطيئة)، ديوان الحطيئة، شرح (حمدو طمّاس)، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط: 2، 1426هـ، 2005م.

11 . (ذو الرّمّة)، ديوان ذي الرّمّة، تقديم: (أحمد حسن سبّح)، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط: 1، 1415هـ، 1995م.

12 (الزّجّاج)، (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: د: (عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتب، ط:1، 1408، 1988م.

13 ـ (عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف أبي زيد الثّعالبي المالكي)(ت786ـ 875هـ)، تفسير الثّعالبي المسمّى الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: (الشّيخ علي محمّد وآخرون)، دار إحياء التّراث العربي، ومؤسّسة التّاريخ العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1418هـ، 1997م، ج:2.

14 ـ (عبد الله أبو السّعود بدر)، تفسير الصّحابة، دار ابن حزم، بيروت لبنان ط:1، 1421هـ، 2000م.

15 ـ (عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي)،(774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق:(مصطفى السّيد محمّد) وآخرون، مؤسّسة قرطبة، جيزة، ومكتبة أولاد الشّيخ، جيزة، ط:1، 1421هـ، 2000م.

16ـ (الفخر الرّازي) (ت 604هـ)، مفاتح الغيث دار الفكر، ط:1، 1401هـ 1981م.

17 ـ (الشّريف الجرجاني) (ت816هـ)، كتاب التّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت طبعة:1985.

18 ـ (شهاب الدّين السّيّد محمود الآلوسي البغدادي) (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تصحيح: (السّيّد محمود شكري الآلوسي) دار إحياء التّرات العربي، بيروت لبنان، (دط)، (دت).

19 ـ (محمّد الأمين الشّنقيطي) (1325ـ 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد، ط:1، 1426هـ، مج:2.

20 ـ (محمّد أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر القرطبي)، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: د/ (عبد الله بن عبد المحسن التّركي)، مؤسّسة الرّسالة، ط:1، 1428هـ 2008م.

21 ـ (محمّد أبو الله عبد بن إدريس الشّافعي)(ت203)، أحكام القرآن ، جمعه (البيهقي) صاحب السّنن الكبرى، تقديم (محمّد زاهد بن الحسين الكوثري) ط:1414،2هـ، 1994م، ج:1.

22 ـ (محمّد بن علي بن محمّد الشّوكاني)، (ت1250هـ) بصنعاء، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية في علم التّفسير، تحقيق: د/ (عبد الرّحمن عميرة) (دط)، دت.

23 ـ (محمّد رشد رضا)، تفسير المنار، دار المنار القاهرة، (دط)، 1366هـ 1947م.

24 ـ (محمّد علي الصّابوني)، روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسّسة مناهل العرفان، بيروت، ط:3، 1400هـ، 1980م.

25 ـ (امرؤ القيس)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: (عبد الرّحمن المصطاوي)، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط:2، 1425هـ،2004م.

7. فهرس الإحالات:

[1]- (أحمد بن فارس) (ت 295هـ)، مقاييس اللّغة، تحقيق: (عبد السّلام هارون)، دار الفكر،(دط)، (دت)،كتاب : الواو، مادّة: وجه،ص:88، 89.

[2] - (الشّريف الجرجاني)(ت816هـ)، كتاب التّعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة:1985 باب التّاء.

[3] . (إبراهيم بن سعيد الدّوسري)، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، دار الحضارة، ط:1، 1429هـ، 2008م، ص: 49، 50.

[4] . الاية:6، من سورة المائدة.

[5] . (محمّد بن إدريس الشّافعي)(ت203هـ)، أحكام القرآن ، جمعه (البيهقي) صاحب السّنن الكبرى، تقديم (محمّد زاهد بن الحسين الكوثري)، ط:1414،2هـ، 1994م، ج:1، ص: 44.

[6] . (محمّد علي الصّابوني)، روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، مكتبة الغزالي دمشق، مؤسّسة مناهل العرفان ، بيروت، ط:3، 1400هـ، 1980م ، ج:1، ص:539.

[7] . (أبو القاسم الزّمخشري الخوارزمي)(467، 538هـ) ، تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، (خليل مأمون شيخا)، دار المعرفة ، بيروت لبنان ،ط:3، 1430هـ ،2009م، ص: 281.

[8] . (أبو بكر بن العربي)(543،468هـ)، أحكام القرآن، علّق عليه وخرّج أحاديثه: (محمّد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان،ط:3، 1424هـ، 2003م، قسم:2 ص: 64.

[9] . (عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي)،(774هـ)، تفسير القرآن العظيم تحقيق: (مصطفى السّيد محمّد) وآخرون، مؤسّسة قرطبة، جيزة، ومكتبة أولاد الشّيخ، جيزة ط:1، 1421هـ، 2000م، مج:5، ص: 101،100.

[10] . (محمّد رشد رضا)، تفسير المنار، دار المنار القاهرة، دط،1366هـ، 1947م ج:6 ص:226.

[11] . (أبو بكر بن العربي)(543،468هـ) أحكام القرآن، قسم:2، ص: 64.

[12] . (الفخر الرّازي) (ت 604هـ)، مفاتح الغيث، دار الفكر، ط:1، 1401هـ، 1981م ج:11، ص: 165.

[13] . (أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي)، (ت856هـ)، الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د/ (أحمد محمّد الخرّاط)، دار القلم، دمشق، ج:4، ص: 210.

[14] . (جلال الدّين محمّد بن أحمد بن محمّد المحلّي)(864،791هـ)، و(جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي)(849، 911هـ)، تفسير الإمامين الجليلين، دار ابن كثير، (دط)، (دت)، ص: 108.

[15] . (عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف أبي زيد الثّعالبي المالكي)(ت786- 875هـ)، تفسير الثّعالبي المسمّى الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: (الشّيخ علي محمّد) وآخرون، دار إحياء التّراث العربي، ومؤسّسة التّاريخ العربي، بيروت لبنان، ط:1، 1418هـ، 1997م، ج:2، ص:351.

[16] . الاية:6، سورة المائدة.

[17] . (محمّد بن علي بن محمّد الشّوكاني)، (1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية في علم التّفسير، بصنعاء، تحقيق: د عبد الرّحمن عميرة، (دط)، (دت)، ج:2، ص: 26.

[18] . (الزّجّاج)، (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: د/ (عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتب، ط:1، 1408، 1988م،ج:2، ص: 153.

[19] . (امرؤ القيس)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: (عبد الرّحمن المصطاوي)، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط:2،1425هـ،2004م، رقم البيت:77.ص: 76.

[20] . (شهاب الدّين السّيّد محمود الآلوسي البغدادي)(ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تصحيح: (السّيّد محمود شكري الآلوسي)، دار إحياء التّرات العربي، بيروت لبنان، (دط)، (دت)، ج:6، ص: 73، 74.

[21] . (امرؤ القيس)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: (عبد الرّحمن المصطاوي)، رقم البيت:77. وتتمّته: كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ. ص: 76.وقد تمّ تخريجه.

[22] . (الفخر الرّازي) (ت 604هـ)، مفاتح الغيث ج:11، ص:164 ،165.

[23] . (أبو حيّان الأندلسي) (ت 745ه)، البحر المحيط، تحقيق: الشّيخ (عادل أحمد عبد الموجود) وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط:1، 1413ه، 1993م، ج:3، ص:452.

[24] . عبد الله أبو السّعود بدر، تفسير الصّحابة، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط:1، 1421ه، 2000م، ص: 99. وقد عزاه للقرطبي.

[25] . (محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د/ (عبد الله بن عبد المحسن التّركي)، مؤسّسة الرّسالة، ط:1، 1428ه، 2008م، ج: 1، ص: 44.

[26]. الاية: 26، سورة هود.

[27] . (الحسين بن مسعود البغوي)،(ت516ه)، تفسير البغوي معالم التّنزيل، حقّقه خرّج أحاديثه (محمّد عبد الله النّمر) وآخرون، دار طيبة، ط:1، 1409 ه، 1989م، مج:3 ص:22، 23.

[28] . ‹‹العَاقِلُ›› هذا مرفوع حكاية في محلّ نصب مفعول به أوّل للفعل(جعل).

[29] . (ذو الرّمّة)، ديوان ذي الرّمّة، تقديم: (أحمد حسن سبّح)، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط: 1، 1415ه، 1995م، قافيّة الجيم، رقم البيت: 24، ص: 42.

[30] . (الحطيئة)، ديوان الحطيئة، شرح (حمدو طمّاس)، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط: 2 1426ه، 2005م، قافيّة الباء، رقم البيت: 11، ص: 155.

[31] . سبق تخريجه من ديوان امرئ القيس.

[32] . (أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي)، (ت856ه)، الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق:د/ (أحمد محمّد الخرّاط)، دار القلم، دمشق، ج:4،ص: 211.

[33] . (جلال الدّين محمّد بن أحمد بن محمّد المحلّي)(791ه،864ه)، و(جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي)(849، 911ه)، تفسير الإمامين الجليلين، ص: 108.

[34] . (محمّد علي الصّابوني)، روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، ج:1، ص: 534.

[35] . (محمّد الأمين الشّنقيطي) (1325- 1393ه)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن دار عالم الفوائد، ط:1، 1426ه، مج:2، ص:11.

[36] . المرجع السّابق، مج:2، ص: 11، 12.

[37] . (امرؤ القيس)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به وشرحه: (عبد الرّحمن المصطاوي)، رقم البيت:67، ص: 62.

[38] . (محمّد الأمين الشّنقيطي)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج:2 ص: 12 13.

[39] . الاية: 84، من سورة هود.

[40] . الاية: 26، من سورة هود.

[41] . (محمّد الأمين الشّنقيطي)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج:2 ص: 16.

[42] . الآيتين: 22، 23 من سورة الواقعة.

[43] الاية: 21، من سورة الواقعة.

[44] . الاية: 17، من سورة الواقعة.

[45] . (محمّد الأمين الشّنقيطي)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مج:2 ص: 14.

[46] . الاية: 18، من سورة الأحزاب.

[47] - (ابن جنّي)(392هـ) ، الخصائص، تحقيق: (محمّد علي النّجّار)، دار الكتب المصريّة، المكتبة العلميّة، (دط)، (دت)، ج:3، ص:36.

[48] . الاية: 31، من سورة يوسف.

[49] . الاية: 2، من سورة المجادلة.

[50] . (ابن يعيش)(ت643)، شرح المفصّل، إدارة الطباعة المنيرة، (دط)، (دت)، ج:1، ص: 108.